

اسم المحاضرة: ضرب النقود الإسلامية بخلافة عبد الملك بن مروان (٦٥-٨٦هـ / ٦٨٥-٧٠٥م)

وقع خلاف بين ملك الروم والخليفة الأموي عبد الملك بن مروان على قراطيس كانت عليها طراز بالرومية ويُذكر فيها شعار النصرانية منعها عبد الملك من التداول بعدما تُرجمت له، فكتب إليه ملك الروم أن يعيدها على حالها السابق وإلا لأمر بنقش الدنانير (التي كانت تضرب بالرومية) بشتم النبي، فأشار عبد الملك أصحابه فأشار عليه روح بن زنباع الجذامي بالاستعانة بالإمام محمد الباقر عليه السلام، فاستعان عبد الملك بالإمام الذي جاء دمشق وأمره بإحضار الصُّناع والصباغة وطلب منهم ان يضربوا بين يديه سكاكاً وان يُجعل النقش على وجه منها سورة التوحيد وعلى الوجه الآخر شهادة الإسلام وأن يجعل في مدارها ذكر البلد الذي يضرب فيه والسنة، ثم فصل ذلك على أوزان الدراهم والدنانير وباللغة العربية.

وفاة عبد الملك بن مروان ووصيته الأخيرة

حينما مرض عبد الملك مرضه الذي مات فيه، دعا ولديه الوليد وسليمان وقال للوليد: ((اسمع يا وليد، قد حضر الوداع وذهب الخداع وحل القضاء، فبكي الوليد فقال له: لا تعصر عينيك عليّ كما تعصر الأمة الكواء (القربة)، إن أنا مت فاغسلني وكفني وصل عليّ... واخرج للناس واللبس لهم جلد النمر واقعد على المنبر وادفع الناس الى بيعتك، فمن قال بوجهه عنك كذا فقل له بالسيف كذا!!! وتنكر للقرب واسمع للبعيد، واصلك بالحجاج خيراً فإنه هو الذي وطّأكم المنابر وكفاكم تقحم تلك الجرائر))، ثم مات سنة (٨٦هـ) بعدما أوصى بولاية العهد لولده سليمان. قال ابن الوردي: (قال فيه الحسن البصري: ما أقول في رجل الحجاج سيئة من سيئاته).

وقال عنه السيوطي: (لو لم يكن من مساوئ عبد الملك إلا الحجاج وتوليته إياه على المسلمين وعلى الصحابة يذلهم ويهينهم حسباً وشتماً وضرباً وقتلاً وقد قتل من الصحابة واکابر التابعين ما لا يُحصى فضلاً عن غيرهم.... فلا رحمه الله ولا عفى عنه).

تعريب الدواوين والنقود الإسلامية

أن من اهم الاعمال التي حدثت في عهد عبد الملك بن مروان هي عملية تعريب دواوين الخراج .

والمقصود بهذه العملية هي عملية نقل الدواوين من الرومية والفارسية الى العربية ، وهي تلك الحركة التي قام بها عبد الملك بن مروان واكملها الخلفاء الأمويين بعده ، وكانت هذه الحركة جزء من عملية تغريب واصلاح شاملة وسياسية مرسومة ، حان وقت تنفيذها ، وكانت تهدف الى اعادة تنظيم كل اجهزة الدولة وصبغها بالصبغة العربية.

أما أهم أسباب عملية التغريب فيمكن إجمالها مما يلي :-

١. استقرار أوضاع الدولة الداخلية وما رافقه من تطور حضاري صاحبه ظهور عدد من الكتاب العرب والموالي ممن يجيدون الكتابة بالعربية والترجمة الى اللغات الأجنبية ، والرغبة الشديدة لدى الدولة ممثلة بشخص الخليفة عبد الملك بن مروان وتطلعاته القومية في رسم المستقبل على أسس قوية ترتكز على لغتها لغة الدين والسياسة.
٢. كانت للعوامل المالية والأقتصادية أثراً مهماً في تغريب دواوين الخراج ، حيث كان متولي هذه الدواوين يحصلون على اموال طائلة من عملهم هذا ، مما يؤدي او يؤثر سلباً في وواردات بيت المال واقتصاد الدولة. لذلك كانت عملية التغريب خطوة اولى باتجاه اعادة تنظيم طريقة جباية الضرائب في الأقاليم وضبط أعمال الدواوين والأشراف الدقيق عليها ، فمنع الغش والتزوير وهو بذلك جزء من خطة الاصلاح المالي الذي كانت الدولة بحاجة ماسه اليه آنذاك.
٣. كان عبد الملك بن مروان يهدف من عملية التغريب الى تحقيق وحدة الدولة وتماسكها بتوحيد النظم المالية والأدارية ، وأنهاء التأثيرات الشعوبية والعنصرية.
٤. كذلك ان بقاء اللغات الأجنبية مستعملة في الدواوين يعني بقاء الموظفين من غير العرب او من غير المسلمين مما يؤدي الى منافسة هذه اللغات للغة العربية ، مما يضعف كيان الدولة ، حيث يتعارض ذلك مع سياسة الدولة واستقلالها ، لذلك كان الحرص على سلامة اللغة العربية . من العوامل المهمة لتعريب الدواوين حيث دخلت شعوب واقوام مختلفة الى الاسلام .

عملية التعريب

كانت كل الدواوين التي يجري العمل بها منذ نشأتها باللغة العربية ، ماعدا ديوان الخراج الذي كان يستخدم اللغتان غير العربية ، أي الفارسية في بلاد فارس والعراق واليونانية في مصر وبلاد الشام.

واستمر هذا الوضع حتى خلافة عبد الملك بن مروان سنة (٦٥-٨٦هـ) الذي تم في عهده تغريب دواوين الخراج ، حيث ان الحاجة الى استخدام اللغات غير العربية قد زالت بوجود عدد كاف من الموظفين العرب الذين يجيدون العمل في تلك الدواوين.

وقد استعد عبد الملك جيداً لهذا العمل ، وذلك عن طريق اعداد فريق من العاملين العرب المدربين للعمل في دواوين الخراج ، المجيدين للغة الفارسية واليونانية ، القادرين على ترجمة تلك الدواوين الى العربية . ولم يكن هذا العمل بالسهل اليسير ، وانما تطلب جهداً وعملاً دائماً.

أ-تعريب دواوين الشام: .

وكان أول ديوان تم تعريبه بأعتباره الديوان المركزي ، وديوان دمشق عاصمة الدولة العربية الإسلامية وأشرف على ذلك العمل سليمان بن سعد الخشني الذي كان يعد من ابرز الكتاب في عهد عبد الملك ، وقد شاركه عدد من كبار الموظفين ، وقد نجح سليمان في انجاز ذلك العمل في سنة كاملة ، وكافأة الخليفة على ذلك العمل بأعطاه خراج اقليم الأردن لمدة عام كامل وكان ذلك في سنة ٨١هـ .

ب-تعريب دواوين العراق والمناطق الشرقية:

وقد تكفل بهذا العمل الحجاج بن يوسف الثقفي والي العراق ، حيث نقل وترجم الدواوين فيها وفي بقية اجزاء الدولة الاموية من جهة الشرق وقد عهد الحجاج بهذه المهمة الى كتابه صالح بن عبد الرحمن .

ج-تعريب دواوين مصر:-

وقد تولى هذه المهمة عبد الله بن عبد الملك بن مروان والي مصر سنة ٥٠٨هـ) ونقل الدواوين من اليونانية الى العربية ، واستمرت هذه العملية حوالي نصف قرن ، وبعد ذلك اصبحت اللغة العربية هي اللغة الوحيدة السائدة في المعاملات المالية في الدولة العربية الإسلامية.

ضرب النقود الإسلامية وتعريبها

تذكر الكثير من المصادر التاريخية ان الامام علي(ع) كان صاحب السبق والريادة في عملية تعريب النقود ومن الأدلة على هذه العملية هي وجود قطعة نقدية ضربت في عهده اي في سنة (٤٠هـ) ونقش على هذه العملية سورة التوحيد ، وقد احتفظت المكتبة الوطنية في باريس بقطعة من هذه العملية ، حيث اثبت المختصون في علم (النميات) (النقود) صحة ضرب هذه العملة من قبل امير المؤمنين(ع).

ولكن الأسف بسبب ظلم معاوية واتخاذة موقفاً سلبياً من امير المؤمنين (ع) ، ادى ذلك الى سدال الستار على هذا العمل الكبير وهي عملية سكة للعملة العربية ، حيث نسبت هذه الفضيلة كسابقة لعبد الملك بن مروان ، الذي لم يستطع اتمام هذا العمل الا بعد مشورة الامام الباقر(ع) الذي شرح له كيفية اتمام عملية الضرب ، مستفيداً من تجربة جيدة امير المؤمنين علي(ع).

دوافع وأسباب عملية التعريب (النقود)

ذكر المؤرخون اسباب وروايات كثيرة في أسباب ودوافع تعريب النقود ويمكن الاشارة الى بعض هذه الاسباب وبشكل مختصر وهي:

١- كانت القراطيس للروم وكان اكثر في مصرهم من النصارى على دين ملك الروم ، وكانت تطرز بالرومية وطرازها (اب وابن وروح القدس) .وعندما امر عبد الملك بترجمتها الى العربية انكر هذا الامر في بلاد المسلمين وامر بمنعها من التداول في البلدان الإسلامية ، وكتب الى عامله على مصر آنذاك وهو اخيه عبد العزيز ان يطرزها بسورة من القرآن لذلك وقع الخلاف بينه وبين ملك الروم الذي كتب اليه ان يعدها الى مالها السابق والا فإنه سوف يأمر بنقش الدنانير الرومية (شتم النبي) ، وهدده بقطع النقد عن المسلمين.

٢- اما الرواية الثانية فتلخص فيما يلي ، على اثر صراع عنيف واشتباكات بين الدولتين الرومانية والإسلامية على حدودها هدد ملك الروم عبد الملك بن مروان بقطع النقود عن البلاد الإسلامية وكان المسلمون يتعاملون بها ، لذلك اضطرب عبد الملك بن مروان لأن عملاً من هذا النوع يؤدي الى شلل الاقتصاد الإسلامي ، لذلك جمع اعيان المسلمين واستشارهم في الخروج من هذه الأزمة ، ولكنهم لم ينتهوا الى نتيجة حاسمة ، فأشاروا عليه بالرجوع الى الامام الباقر(ع) فأرسل اليه كتاباً يدعو فيه الى الحضور ، فلبى الامام الباقر(ع) الدعوة وحضر الى الشام ، فعرض عليه عبد الملك ما جرى له مع ملك الروم .

فقال له الامام (ع) : ((لا يهولتك ما ترى أرسل الى ملك الروم واستمهلهم مدة من الزمن لترى رأيك فيما عرضه عليك وخلال تلك المدة ارسل الى عمالك في جميع المقاطعات وأمرهم بأن يجمعوا الذهب والفضة حتى الافراط ... حتى اذا توفرت لك الكمية الكافية باشر بصك الدرهم والدنتار.

وحدد له الامام (ع) وزنهما وكيفيةهما وامره أن يكتب على احدى الجهتين محمد رسول الله وترك له ان يكتب على الجهة الثانية ما يريد ، واضاف الامام (ع) الى ذلك بعض التفاصيل ، وعند الانتهاء من ذلك ضع الدرهم والدينار في ايدي المسلمين وامنع من التعامل بغيرها حتى لا يبقى ملك الروم سلطان عليك)).

لذلك لم يجد عبد الملك بديلاً لهذا الرأي وباشر بتنفيذه في الحال.

وخلال اشهر معدودات كان النقد الجديد في ايدي المسلمين يتعاملون به بدلاً من النقد الروماني.

المصدر: حسن ابراهيم حسن، تاريخ الاسلام السياسي والديني.